الإيسيسكو ومستقبل العالم الإسلامى
فى آفاقه التربوية والعلمية والثقافية

أ٠د٠ عبد العزيز بن عثمان التويجرى*

تتمثل رسالة الجامعات – حسب الصياغة التى وردت فى المادة الأولى من قانون تنظيم الجامعات المصرى – بأنها : (تختص بكل مايتعلق بالتعليم الجامعى والبحث العلمى ، فى سبيل خدمة المجتمع والارتقاء به حضارياً ، متوخية فى ذلك المساهمة فى رقى الفكر ، وتقدم العلم ، وتنمية القيم الإنسانية) ٠

وإذا نظرنا إلى ميثاق المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، نجد أن من الأهداف التى تعمل من أجلها ، مايلى :

– تقوية التعاون وتشجيعه ، وتعميقه بين الدول الأعضاء فى ميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال ٠

– تطوير العلوم التطبيقية ، واستخدام التقانه المتقدمة فى إطار القيم والمثل العليا الثابتة للأمة الإسلامية ٠

– تدعيم التكامل ، والسعى للتنسيق بين المؤسسات المتخصصة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى فى مجالات التربية والعلوم والثقافة والاتصال ٠

– دعم الثقافة الإسلامية ، وحماية استقلال الفكر الإسلامى من عوامل الغزو الثقافى والتشويه ، والمحافظة على معالم الحضارة الإسلامية وخصائصها المتميزة ٠

(*) المدير العام لمنظمة الإيسيسكو – الرباط – المغرب ٠والبحث عبارة عن محاضرة ألقاها سيادته فى جامعة القاهرة – كلية دار العلوم ١٩٩٨/٦/٢٩ ٠

وإذا تأملنا فى هذه الأهراف ، نجد أن خلاصتها : رقى الفكر ، وتقدم العلم ، وتنمية القيم الإنسانية ، على صعيد أوسع ، هو العالم الإسلامى فى امتداده الجغرافى ، وفى عمقه الحضارى •

ولذلك لم يكن تأسيس المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، فى سنة ١٩٨٢، تجسيداً لمبدأ التضامن الإسلامى فحسب ، وتحقيقاً لهدف طالما عمل من أجله القادة والمفكرون والمصلحون فقط ، ولكنه كان ، بالإضافة إلى هذا كله ، تعبيراً عن إحدى ضرورات التعاون العلمى والثقافى بين أقطار العالم الإسلامى ، واستجابة لحاجة يشتد إلحاحها إلى تضافر الجهود وتكاملها بين هذه المجموعة البشرية المتجانسة تاريخياً ، وحضارياً ، وثقافياً •

لقد كان إنشاء هذه المنظمة ، تجاوباً مع متطلبات العصر ، وتكيفاً مع ضروراته ، بل كان حتمية من الحتميات العلمية والثقافية التى فرضت على الأمة الواحدة أن تنسق جهودها فى مضمار التربية والتعليم والعلوم والثقافة والمعرفة بصفة عامة ، وأوجبت على قادة الأقطار الإسلامية أن يجمعوا أمرهم على إيجاد إطار ملائم للعمل المشترك ، وفقاً لمبادئ القانون الدولى ، لتحقيق مصالح وأهداف مشتركة •

لقد تجانست الدوافع العقلية والمصلحة مع الحوافز الثقافية والعاطفة ، فى بلورة الإرادة السياسية لإنشاء هذه المنظمة ، بحيث كانت حسابات الواقع ومعطياته وشروطه ، فى ذات درجة الحرص على أن يكون للعالم الإسلامى جهاز متخصص فى قضايا التربية والعلوم والثقافة ، يوازى الجهاز التابع للأمم المتحدة ، ويتكامل مع الجهاز التابع لجامعة الدول العربية ، وهما اليونيسكو والأليكسو • وهو الأمر الذى يعزز جهود هذين الجهازين ، بالقدر الذى يحقق المزيد من الفائدة والنفع للدول الأعضاء فى المنظمات الثلاث

معاً • وفى ذلك من التكامل القدر الذى يقوى من فعالية العمل التربوى والعلمى والثقافى على المستويات الثلاثة •

وسواء نظرنا إلى تأسيس المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، من زاوية الحضارة الإسلامية الواحدة وما يستوجبه الانتماء إلى هذه الحضارة ، من السعى الحثيث لتعميق الترابط وتقوية التماسك بين الشعوب التى تنتمى إليها ، أم نظرنا إلى ذلك من زاوية المصلحة المادية والفائدة ، فإن الأمر الذى لاشك فيه ، على أى نحو من الأنحاء هو أن قيام منظمة إسلامية متخصصة فى هذه الحقول المعرفية تنتمى إلى أسرة منظمة المؤتمر الإسلامى ، هو مكسب بالغ القيمة والأهمية ، حققته الأمة الإسلامية مع مطالع القرن الهجرى الجديد ، لتبدأ به ، مرحلة جديدة من العمل المشترك الذى يهدف إلى الرفع من مستويات التنمية البشرية فى الأقطار الإسلامية ، من منطلق تطوير النهضة التربوية والعلمية والثقافية فيها ، وبما يستجيب لمتطلبات البناء الحضارى الشامل ، وعلى النحو الذى يلبى الاحتياجات الملحة فى هذه الميادين الحيوية •

– فهل كانت هذه المنظمة فى مستوى الطموح الذى كان يحدو قادة دول العالم الإسلامى حين قرروا ، فى القمة الإسلامية التى عقدوها فى يناير سنة ١٩٨١ فى مكة المكرمة والطائف ، إنشاءها ؟

– هل أضافت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة جديداً مفيداً نافعاً إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، وإلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؟

يشهد الواقع أن هذه المنظمة التى نحن بصدد الحديث عنها اليوم ، قد أثبتت بما لايرقى إليه الشك ، أن وجودها كان ضرورة من الضرورات الملحة ، على مستويات عديدة ، منها أن هذه المنظمة عززت ، وبصورة

واضحة ، العمل الإسلامى المشترك فى قنواته الشرعية ، وهى منظمة المؤتمر الإسلامى ، ومايتفرع عنها ، أو يعمل فى إطارها ، من المنظمات والمؤسسات الإسلامية ، فأضفت على العمل الجماعى فى هذا الإطار الصبغة التى كان يفتقدها ، وهى الصبغة الثقافية فى مدلولها العام ، والصبغة العلمية فى مفهومها الشامل • وهذا ما أكسب العمل الإسلامى المشترك ، مزيداً من القوة والجدوى والفعالية •

لقد جعلت الإيسيسكو من التضامن الإسلامى حقيقة واقعية ، ذات أبعاد تربوية وعلمية وثقافية •فلأول مرة فى هذا العصر ، تلتقى دول العالم الإسلامى حول إطار تنظيمى للعمل التربوى والعلمى والثقافى ، تعمل من خلاله لتحقيق أهداف أصبحت هى القاسم المشترك بين الأقطار الإسلامية ، تعلو فوق كل الخلافات السياسية ، وترتفع إلى ذروة الإجماع الذى تتوحد فى ظله الإرادات والمصالح • وهذا هدف من الأهداف التى تحققت ، ينبغى أن نحسب له حسابه ونحن نستشرف مستقبل العالم الإسلامى •

إن الإنجازات التى حققتها الإيسيسكو فى عمرها القصير ، لا ينبغى أن تقاس بالأرقام وبالأحجام فى كل الأحوال ، وإنما تقتضى الرؤية العلمية إلى طبيعة العمل الذى تنهض به هذه المنظمة ، أن تقاس هذه الإنجازات بالمقياس الحضارى ، وأن توزن بميزان المصالح الاستراتيجية للبلدان الإسلامية قاطبة • ذلك أن ما أنجز خلال ست عشرة سنة ، يعد فى حقيقة الأمر ، استثماراً مضمون الفائدة لمستقبل العالم الإسلامى ، وبقدر ما نحسن تنمية هذا الاستثمار وتوظيفه ، نقيم جسور العبور إلى القرن الحادى والعشرين •

ولعل من أهم الإنجازات التي تحققت حتى الآن ، وضع ثلاث استراتيجيات للعمل التربوى والعلمى والثقافى ، تشكل فى مجموعها ، إطاراً علمياً لتطوير قدرات الأمة وإمكاناتها فى هذه الحقول المعرفية :

أولا : (استراتيجية تطوير التربية فى البلاد الإسلامية) التى اعتمدها المؤتمر العام للإيسيسكو فى دورته الثالثة المنعقدة فى عمان فى شهر نوفمبر سنة ١٩٨٨ ، ويتكون المؤتمر العام للمنظمة الإسلامية ، من وزراء التربية والتعليم فى الدول الأعضاء ،

ثانياً : (الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامى) التى اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامى السادس المنعقد فى داكار فى ديسمبر سنة ١٩٩١ ، وقد وضعت الإيسيسكو هذه الاستراتيجية بالتعاون مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى ، وقد جاءت هذه الاستراتيجية ثمرة ندوات واجتماعات للخبراء ، عقد أحدها فى القاهرة ، وهى خلاصة أربع سنوات من البحث والدراسة والتحليل ، ومن المقارنة والتأمل واستقراء الواقع الثقافى للعالم الإسلامى ،

أما ثالثة هذة الاستراتيجيات ، فهى (استراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا فى البلدان الإسلامية) التى اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامى الثامن الذى عقد فى طهران فى شهر ديسمبر سنة ١٩٩٧ ،

وتشكل هذه الاستراتيجيات الثلاث ، الأركان الرئيسة لاستراتيجية المعرفة ، التى تنبع من خصوصيات الهوية الحضارية للأمة ، والتى تلبى احتياجات التنمية البشرية فى حقول التربية والعلوم والثقافة ، والتى تقدم – ولأول مرة فى تاريخ العالم الإسلامى المعاصر – الإطار المعرفى فى شموليته ، وعمقه ، وامتداده ، وفى استيعابه لمتطلبات النهضة العلمية والمادية الواقعية ، لا النهضة النظرية والعاطفية الخيالية ،

لقد أصبح العالم الإسلامى يملك اليوم استراتيجية متكاملة الأركان للمعرفة فى أبعادها الثلاثة ، التربوية والعلمية والثقافية ، اعتمدتها وصادقت عليها الإرادة الإسلامية السياسية المتمثلة فى مؤتمر القمة الإسلامى ، وهو أعلى سلطة فى هرم العمل الإسلامى المشترك فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى ، والمتمثلة أيضا فى المؤتمر العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، الذى يتكون من وزراء التربية والتعليم فى الدول الأعضاء، وهو السلطة الدستورية العليا التى تقرر السياسة العامة للإيسيسكو، وتعتمد خطة عملها ، وتقر موازنتها ·

فوق هذه القواعد الراسخة للعمل الإسلامى الثقافى والعلمى المشترك ، يقوم البناء الحضارى للمستقبل · وما المستقبل إلا ما نبنيه فى الحاضر على أرض الواقع ، فى جهد مشترك يستند إلى إطار معرفى يتناسب وطبيعة عصرنا ، ويتلاءم ومايشهده العالم من حولنا من متغيرات ·

وفى إطار هذه الرؤية الشمولية ، واستناداً إلى هذا المنهج العلمى المحكم فإن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، تعمل منذ تأسيسها فى مجالات ثلاثة رئيسة :

أولها : تنمية الموارد البشرية فى الدول الأعضاء من خلال التعليم ، والتأهيل ، والتدريب ، والتكوين سواء بصورة مباشرة ، أو غير مباشرة ، عن طريق تقديم الخدمات الفنية والأكاديمية للجهات المعنية لمساعدتها على النهوض بمستلزمات العمل فى هذا المضمار · ويشمل هذا المجال ، الدورات التدريبية للمدرسين والموجهين التربويين وقادة محو الأمية ، وورشات العمل التطبيقية للمهنيين والإخصائيين والخبراء ، وإعداد المناهج التعليمية ، وتأليف الكتب المدرسية ، إلى غير ذلك من البرامج والأنشطة التى تقدم الإيسيسكو من خلالها دعماً مستمراً ومتواصلاً ومطرداً للدول

الأعضاء ، وبخاصة الدول ذات الاحتياجات الملحة في قطاع التربية والتعليم .

ثاني هذه المجالات ، تحديث مناهج تدريس العلوم الأساسية ،وتطوير أساليب تعليم التربية الإسلامية واللغة العربية ، وتجديد النظم التربوية ، وتعزيز الاتصالات بين العلماء المسلمين ، بهدف الوصول إلى دعم التنمية التربوية والعلمية والثقافية ، وخلق النهضة التي ينشأ في كنفها الإنسان المتوازن فكراً ووجداناً وجسماً ، القادر على المساهمة في تقدم المجتمع ، وفي بناء النهضة ، وفي صنع الحضارة .

أما ثالث المجالات الكبرى لعمل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، فهو الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمعات الإسلامية ، وصون ذاتيتها الثقافية من خلال نشر الثقافة الإسلامية ، وهو تجديد الحضارة الإسلامية البانية للإنسان وللعمران وحماية مكونات الأمة الثقافية والدينية ، بالتوسع في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وبإعادة كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف العربي ، وبتحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره والعناية بحفظه وتوثيقه ، وبمد إشعاع الفكر الإسلامي المستنير إلى آفاق أوسع ، وبتصحيح صورة الإسلام لدى دوائر الاستشراق ومراكز الدراسات الإنسانية وفي مجال وسائل الإعلام الغربية ، وبالحوار مع الثقافات والحضارات والأديان من موقع الاحترام المتبادل والاعتراف بحق الاختلاف في الرأي والمعتقد ، وفي إطار التسامح الديني والتعايش الثقافي والتعامل الحضاري مع الأديان السماوية ، ومع المنتمين إلى الثقافات والحضارات الإنسانية جميعاً .

في هذا الإطار العام ذي المجالات الثلاثة ، تتحرك المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة على ثلاثة مستويات :

المستوى الأول ، هو الدول الأعضاء ، وعددها حتى الآن أربع وأربعون دولة ، ونسعى إلى أن يتم انضمام جميع دول منظمة المؤتمر الإسلامى ، وعددها ست وخمسون دولة ، إلى الإيسيسكو فى المدى القريب .

والمستوى الثانى ، هو المجتمعات الإسلامية فى غير البلدان الإسلامية، وفى بلاد المهجر ، خاصة فى أوروبا حيث تعيش جاليات إسلامية وافرة العدد .

أما المستوى الثالث الذى تتحرك فيه الإيسيسكو ، فهو المحيط العالمى الواسع الذى نتعامل معه من خلال المؤتمرات والندوات والملتقيات الدولية التى تنعقد فى شتى أنحاء العالم ، لمعالجة قضايا تدخل ضمن اختصاصات المنظمة الإسلامية ، سواء برعاية اليونيسكو ، أو برعاية عشرات المنظمة والمؤسسات الدولية والإقليمية التى عقدت الإيسيسكو معها اتفاقيات للتعاون ، بلغت حتى شهر يونيو الحالى ، ثلاثا وتسعين اتفاقية ، عقدناها مع منظمات دولية تعمل فى إطار الأمم المتحدة ، مثل اليونسكو ، واليونسيف ، ومنظمة الصحة العالمية ، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية ، والمفوضية السامية للاجئين ، والصندوق الدولى للتنمية الزراعية ، وبرنامج الأمم المتحدة للنشاطات السكانية ، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ، أو مع منظمات تعمل فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى ، مثل البنك الإسلامى للتنمية ، أو مع منظمات تابعة لجامعة الدول العربية ، مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أو مع منظمات إقليمية أخرى ، مثل وكالة الفرانكفونية ، ومكتب التربية العربى لدول الخليج ، ومنظمة وزراء التربية لدول جنوب شرقى آسيا ، أو مع منظمات غير حكومية ، مثل رابطة العالم الإسلامى ،

والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ، إلى غيرها من المنظمات •

إن هذا الإطار الشامل الذى تعمل الإيسيسكو فيه ، يستوعب حاضر العالم الإسلامى ومستقبله ، فى رؤية منهجية إلى العمل التربوى والعلمى والثقافى ، تقوم على أساس من الدراسة العلمية لطبيعة المهام والمسؤوليات والواجبات التى تنهض بها هذه المنظمة •

إن المنهج العلمى الذى نهتدى به فى تعاملنا مع الواقع على امتداد الرقعة الشاسعة للعالم الإسلامى ، يلزمنا أن نعلن ابتداء ، أن المجتمعات الإسلامية تعانى معاناة شديدة ، من تخلف شديد البروز فى ميادين التربية والعلوم والثقافة ، لا يخفف من هذه المعاناة أن بعض الأقطار الإسلامية تحقق تقدماً ملحوظاً فى هذا المجال الحيوى الهام •

إن المؤشرات المتوفرة لدى بنك المعلومات فى الإيسيسكو تؤكد بصورة واضحة ، أن معدل الأمية فى بلدان العالم الإسلامى يبلغ ٥ر٤٥ فى المائة ، أى أن نصف سكان العالم الإسلامى تقريباً يعانون من الأمية •

ومن مظاهر التراجع الحضارى فى مجال التربية والتعليم فى معظم دول العالم الإسلامى ، أن معدل الإنفاق الحكومى على التعليم فى هذه الدول، لايزيد فى أعلى نسبة ، على ٦ر١٥ بالمائة ، فى حالات قليلة ، وينزل هذا المعدل إلى نسبة اثنين فى المائة فى معظم الحالات •

ونلاحظ من خلال المؤشرات المتوفرة لدى بنك المعلومات فى الإيسيسكو ، أنه على الرغم من المجهودات التى تبذلها حكومات بلدان العالم الإسلامى ، للنهوض بمستويات التربية والتعليم فى المجالات كافة ، إلا أن ظاهرة الأمية ، لاتعرف تراجعاً فى عدد كبير من هذه البلدان ، هذا بالإضافة إلى القصور الذى يسجل لدى الدوائر المهتمة ، ومنها الإيسيسكو ،

فيما يتعلق بمستوى مردودية حركة التعليم من حيث القيمة والمضمون ٠ وهو الأمر الذى يشير إلى أن كثيراً من الجهود التى تبذل فى هذا المجال الحيوى تضيع هدراً فى أحايين كثيرة ٠

ومما يزيد من خطورة الوضع التعليمى العام على صعيد العالم الإسلامى ، ضعف الاهتمام بالبحث العلمى فى جميع حقول العلم ، وعلى مختلف المستويات ؛ إذ لايتعدى معدل الإنفاق الحكومى على البحث العلمى فى بلدان العالم الإسلامى ، نسبة واحد فى المائة من مجموع الإنفاق الحكومى العام ، فى أكثر الأقطار اهتماماً بالعلم والتكنولوجيا ، وعددها ضئيل للغاية ، بالقياس إلى مجموعة الدول الإسلامية التى تقل فيها هذه النسبة وتنزل إلى ماهو دون ٦٥ر٠ فى المائة ٠

وينعكس هذا العجز الذى يطبع الحياة العلمية فى أقطار العالم الإسلامى ، بدرجة واضحة ، على حجم مراكز البحث العلمى وعددها فى هذه الأقطار ، إذ أن مجموع هذه المراكز المتخصصة فى العلوم والتكنولوجيا ، يصل إلى ما يقارب الألفين (بالضبط ١٨٨٥ مركزاً) بينما يصل عدد العلماء الباحثين فى حقول العلوم والتكنولوجيا ، إلى مايزيد عن ثمانية ملايين عالم باحث (بالضبط ٧٠٨٦٤ر٠٠٠ عالم) وهذا العدد يعادل نسبة ٧ر٣ فى المائة من المجموع الكلى لتعداد الباحثين العلميين فى العالم ٠

ومن المعلوم أن المعيار الدولى الذى تعتمده اليونسكو لنسبة العلماء المتخصصين فى العلوم التكنولوجيا إلى تعداد السكان ، هو عالم باحث واحد لكل ستة آلاف نسمة ٠ وحسب المؤشرات والإحصائيات التى تتوفر لدى مركز المعلومات فى الإيسيسكو ، فإن هذه النسبة فى دول العالم الإسلامى تصل إلى ١٧٠ر٤ لكل مليون نسمة بينما تتراوح هذه النسبة فى الدول

المتقدمة صناعياً وعلمياً ، وبين ١٢٫٠٠٠ و ٦٠٫٠٠٠ عالم باحث لكل مليون نسمة ٠

وتعبر هذه الفروق الشاسعة عن حقيقة الأوضاع العلمية فى العالم الإسلامى ، وتكشف فى الوقت نفسه ، عن طبيعة الواقع غير الطبيعى الذى يسود الحياة العلمية فى هذا العالم الشاسع الذى يملك من الموارد والمؤهلات، ما يوفر أمام الباحثين كل الإمكانيات والوسائل لتحقيق نهضة علمية تكنولوجية حقيقية ، إذا ما سارت الأمور فى الاتجاه العلمى الرشيد ٠

إننا بإزاء وضع علمى بالغ الضعف والعجز ، يشكل معوقات خطيرة أمام تنمية البلدان الإسلامية ٠ وهو الأمر الذى يدعونا إلى التحرك لاستدراك ما ضاع منا من فرص ، ولإصلاح هذا الوضع ، وذلك لسد الفجوة المعرفية الهائلة بين العالم الإسلامى ، وبين العالم المتقدم صناعياً وعلمياً ٠

ولقد عالجت استراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا فى البلدان الإسلامية ، هذه المشاكل على ضوء هذه المؤشرات وغيرها ، وقدمت مقترحات عملية وأفكاراً تجديدية قابلة للتنفيذ ٠

كما أن الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامى ، تتضمن ، هى الأخرى ، الخطوط العامة للإصلاح الثقافى فى الأقطار الإسلامية ، وترسم الخطط لما يمكن أن نسميه بالانطلاق الثقافى نحو آفاق الحادى والعشرين ٠

كذلك اشتملت استراتيجية تطوير التربية فى البلاد الإسلامية ، على توجهات رئيسة ، تمهد السبيل أمام تطوير مناهج التربية والتعليم وفق أسس علمية ٠

أما قضية الأمية ، التى هى من القضايا العويصة التى تتطلب جهوداً ضخمة بل تستوجب تعبئة شاملة ، على المستوى الوطنى والقومى

والإسلامى ، لمواجهتها ، فإن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، قد وضعت برنامجاً عملياً يحمل اسم : (البرنامج الإسلامى لمحو الأمية وللتكوين الأساسى للجميع فى البلدان والجماعات الإسلامية) وهو البرنامج الذى شاركت به الإيسيسكو فى المؤتمر العالمى حول التربية للجميع الذى عقد فى جوم تيين فى تايلاند سنة ١٩٩٠ . وهذا البرنامج الذى اعتمده المؤتمر العام الاستثنائى للإيسيسكو الذى عقد فى تايلاند على هامش المؤتمر العالمى حول التربية ، هو وثيقة عمل على قدر كبير من الأهمية ، يتوقف تنفيذها على القرار السياسى الذى يقضى بتبنى الدول الأعضاء فى المنظمة الإسلامية تنفيذ هذا البرنامج فى إطار تكافل الجهود وتنسيق الخطوات وتبادل التجارب والخبرات .

ولذلك ، وشعوراً من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، بأن تنفيذ البرنامج الإسلامى لمحو الأمية وللتكوين الأساسى للجميع ، يتوقف على قرارات سياسية عليا ، فقد وجهت شخصياً أمام المؤتمر الإسلامى الثالث والعشرين لوزراء الخارجية الذى عقد فى جاكارتا فى سنة ١٩٩٦ ، نداء إلى قادة العالم الإسلامى ، دعوتهم فيه إلى **عقد قمة إسلامية تخصص لمعالجة قضية الأمية المتفشية فى الأقطار الإسلامية جميعها** من دون استثناء ، وإن كان بنسب تختلف من دولة إلى أخرى .

ومما يقرب إلينا الصورة الكاملة للأوضاع العلمية فى العالم الإسلامى، أن مستوى التعليم العلمى حالياً فى معظم البلدان الإسلامية ، لايدعو إلى الارتياح ؛ فمن ناحية الكم ، لايزيد عدد الطلبة العلميين فى المتوسط عن ٣٥ فى المائة ، تقريبا من مجموع الطلبة فى المستوى الثانوى ، ولايزيد عن ٢٠ فى المائة فى المستوى الجامعى ، وأن عدد الخريجيين العلميين ، على اختلاف أصنافهم ومستوياتهم ، آخذ فى الانخفاض ، بالنظر إلى

المتطلبات التنموية الكبيرة لمختلف البلدان . ويجدر التذكير هنا ، بشكل خاص ، بأن ضعف التأطير وارتفاع نسبة الرسوب ، لاسيما بالنسبة للطلبة العلميين فى مختلف المستويات ، أمران يبعثان على القلق الشديد . وينطبق ذلك على الوضعية الضعيفة للأساتذة ، والتجهيزات والمعدات ، والمختبرات المتاحة .

ونحن نعلم جميعاً أن التعليم العلمى ، هو الذى يساهم إلى حد كبير ، فى تحقيق النمو والتنمية . ومن ثم ، فلا يمكن التقدم بخطى حثيثة فى مجال الاقتصاد ، مالم تولى عناية فائقة ، ومنذ البداية ، للتعليم العلمى والتكنولوجى على المستويات التعليمية كافة . ولقد قام عدد كبير من البلدان الإسلامية فيما سبق ، بمحاولات جادة لإصلاح النظام التعليمى ، غير أن البنية الضخمة القائمة على أسس قديمة ، لم يكن بإمكانها مقاومة الضغوط المتمثلة فى متطلبات العصر ومستجداته .

وأود أن أنتهز هذه المناسبة ، لأشيد بالجهود الموفقة التى تبذلها الدولة فى مصر لتطوير التعليم الجامعى ، وللرفع من مستويات البحث العلمى فى مختلف الفروع والحقول . ومما لاشك فيه أن مصر تملك قاعدة علمية راسخة ، وتتوفر لديها مؤشرات إيجابية لتحقيق نهضة علمية مزدهرة . وقد كانت مصر دائماً رائدة فى التعليم الجامعى ، وفى البحث العلمى ، ولها اليوم فى عهد فخامة الرئيس السيد محمد حسنى مبارك ، أقوى دافع نحو المزيد من التألق فى هذا المضمار .

إن الرؤية الشمولية إلى واقع التربية والتعليم والعلوم والثقافى فى حاضر العالم الإسلامى ، تقودنا إلى جملة من الحقائق ، يمكن إجمالها فيما يلى :

– يقف العالم الإسلامى على عتبة القرن الحادى والعشرين ، يتطلع إلى الأمام ، تحدوه الإرادة القوية فى بلوغ مستوى أرفع من التقدم الذى يتناسب مع إمكاناته وموارده الطبيعية والبشرية ، ولكن تحده ظروفه فى مجملها ، عن تحقيق طموحه بالقدر الذى يتوافق مع إرادته ، وتعوقه المشكلات المتعددة التى يعانى منها فى شتى الميادين ، خاصة فى الميدان الاقتصادى ، وفى المجال العلمى ؛ وعلى مستوى التطور المتوازن فى الحياة العامة ، الذى لايعبر عن مكانته التاريخية ، ولايعكس حجمه على خريطة العالم .

– إن القرن الحادى والعشرين يهل فجره على البشرية بينما العالم الإسلامى ، بوجه عام ، يتبوأ درجات أدنى فى سلم التقدم العلمى والتكنولوجى والإبداع المعرفى ، نتيجة لعوامل كثيرة ، تتداخل فيما بينها ، وتتضافر جميعها ، لتشكل معوقات حقيقية للنمو الطبيعى ، وفقا للوتيرة التى تقربه من المستويات الدولية المؤدية إلى التقدم المطرد ، وإلى التنمية الشاملة .

– باستقراء دلالات الواقع ومعطياته ، نجد أن تخلف العالم الإسلامى عن ركب التقدم ، يعود إلى سببين رئيسين :

أولهما ، سبب هيكلى له صلة بالنظم التعليمية والتربوية ، وبالمناهج الاقتصادية والاجتماعية ، وبأساليب الإدارة والتسيير .

وثانيهما ، سبب وظيفى ، يتعلق بطرق استثمار الموارد الطبيعية والبشرية المتوافرة ، واستخدام الإمكانات والوسائل المتاحة ، والتحكم فى اتجاهات العمل العام الذى يرتبط بحياة المواطنين .

– إن العالم الإسلامى ، وعلى الرغم من الجهود الضخمة التى بذلت على أكثر من صعيد ، طيلة القرن العشرين ، بل ومنذ نشوء الدولة الحديثة

فى العالم الإسلامى فى القرن التاسع عشر ، انطلاقاً من مصر ، فإن معدلات النمو التى تتحقق فى أقطاره سنوياً ، لاتزال دون الطموح الذى يحدو الأمة الإسلامية قاطبة • وهو الأمر الذى يستدعى القيام بعمليتين متوازيتين :

أولاهما ، مراجعة الذات ، وعلى جميع المستويات ، وبالصدق والصراحة والشجاعة والشفافية ، وبطريقة منهجية تسبر الأغوار ، وتحلل الظواهر ، وترصد الاتجاهات ، وتبحث المشكلات بعمق •

وثانيتهما ، بذل أكبر الجهود فى تجديد النظم التطبيقية المتبعة فى جميع ميادين العمل العام ، وعلى جميع الأصعدة ، وبما يحدث تغييراً شاملاً فى هذه النظم ، على المستويين النظرى والتطبيقى ، حتى تكتسب الفعالية ذات القدرات العالية ، مما يجعلها مواكبة للمتغيرات التى شملت النظم والمناهج فى جميع حقول النشاط الإنسانى العام •

– تتزايد حاجة العالم الإسلامى إلى تجديد حركة البناء الحضارى الشامل فى أقطاره بتصاعد مد التحديات التى تواجهها الشعوب والحكومات على السواء ، مع بداية القرن الحادى والعشرين ، ويقتضى ذلك إيلاء أكبر الاهتمام وأوسعة للتربية والعلوم والثقافة والاتصال ، بحيث يرتفع الاهتمام بهذا الجانب من جوانب البناء فى المجتمعات الإسلامية ، إلى المرتبة الأولى فى سلم الاهتمامات الوطنية فى كل دولة من دول العالم الإسلامى ، وحتى تكون التعبئة العامة من أجل كسب رهان التحدى فى ميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال ، قضية وطنية تستنفر جهود كل فئات المجتمع •

– إن من الحقائق القاطعة التى استخلصها الإنسان من التاريخ المعاصر وبخاصة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وإلى اليوم ما يؤكد أن العلم والتكنولوجيا هما السلاح الأقوى فى معارك الحياة ، وأن اكتسابهما ،

بيدأ من المراحل الأولى للتربية والتعليم للفرد وللمجتمع ، وأن هناك علاقة طردية بين التفوق فى العلوم والتكنولوجيا ، وبين النجاح فى تطبيق السياسات التربوية والتعليمية ، وأنه من أجل الوصول إلى هذا المستوى الرفيع من الأداء والإنجاز فى ميدان التربية والتعليم ، يتوجب امتلاك رؤية واضحة للعملية برمتها ، واعتماد مناهج متطورة ، والاتكاز إلى نظم نظرية وعملية ترسم الأهداف بكل الدقة ، وتوضح الأفاق المستقبلية ، وتوفر وسائل التنفيذ ، وتحدد الأولويات على ضوء الاختيارات الواضحة ، ووفق البرامج المقررة ·

– لقد توافرت للعالم الإسلامى ، خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين ، وسائل ناجعة للعمل المشترك فى شتى الميادين ، بما فيها التربية والعلوم والثقافة ، انطلاقا من قاعدة التضامن الإسلامى · وتعد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، الجهاز المتخصص ، فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى ، فى ميادين البناء التربوى والعلمى والثقافى ، وهى لذلك تنهض بمسؤولية التخطيط لمهام المستقبل ، على ضوء ما توافر لديها من تجارب ، وما امتلكته من خبرات ، وما وضعته من استرتيجيات ثلاث لتطوير التربية ، وللثقافة ، ولتطوير العلوم والتكنولوجيا ·

– لقد تحققت الكثير من الإنجازات فى العالم الإسلامى ، على مستوى العمل الإسلامى المشترك فى مجالات التربية والعلوم والثقافة · وقد تحملت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة مسؤولياتها فى هذا الميدان الحيوى ، بكل الكفاءة والاقتدار ، وهى مصممة العزم على مواصلة أداء رسالتها ، على النحو الذى يلبى احتياجات العالم الإسلامى ، وبالقدر الوافى من النجاح والاتقان ·

وعلى الرغم من مظاهر التخلف عن ركب التقدم التربوى والعلمى والثقافى فى العالم ، التى تسود معظم أقطار العالم الإسلامى ، فإن ثمة إرهاصات مشجعة ، وبوادر إيجابية ، تمنحنا الثقة فى المستقبل ، ذلك أن العالم الإسلامى ، بدا يسير فى الاتجاه الصحيح ، نحو تحقيق النهضة الحضارية الشاملة ، على الرغم من التعثر الذى يكتنف هذه المسيرة • غير أن الجهود المتواصلة التى تبذل على المستوى الوطنى والإقليمى والعربى والإسلامى ، للرفع من مستويات التعليم ، ولتطوير البحث العلمى ، تتطلب التنسيق فيما بين القائمين عليها ، والتكامل فى الخطط والبرامج ، والتعاون فى التنفيذ •

وهنا تبرز الرسالة الحضارية للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ويتضح لنا حجم الأعباء التى عليها أن تتحملها ، وجسامة المسؤوليات والمهام التى يتوجب عليها أن تنهض بها •

ونحو هذا الاتجاه تمضى الإيسيسكو مدعومة بثقة الدول الأعضاء فيها ، ومنها مصر العريقة بعلمائها ومفكريها وبجامعاتها ومعاهدها ومراكز البحوث فيها ، وبخبرة أبنائها ذوى السمعة العالمية والصيت الذائع •

ونحن موقنون بأن المستقبل التربوى والعلمى والثقافى للعالم الإسلامى، يتوقف على مدى التعاون فيما بين بلدانه فى هذه الميادين الحيوية• فمن دون هذا التعاون ، لايمكن أن نحقق أهدافنا • وبذلك فإن التفاف الجميع حول الإيسيسكو ، ودعمهم لها ، وتعاونهم معها ، كل ذلك من الوسائل المعينة والكفيلة بأن تجعلنا نعمل بكل طاقاتنا ، من أجل مستقبل مزدهر تعليماً وعلماً وثقافة ، بإذن الله تعالى •

إن مستقبل العالم الإسلامى يبدأ اللحظة • إن المستقبل هو الحاضر الذى نعيشه ، وهو الماضى الذى نستوحيه ، وهو قدرتنا على المواءمة بين

الحاضر والماضى ، فى انسجام وتوافق مع الذات ، ومع الهوية ، ومع مقتضيات التحدى الحضارى الذى لانملك فكاكاً منه • فليس المستقبل بالمجهول عنا ، فنحن الذين نصنع هذا المستقبل فى لحظتنا الحاضرة • والعلم والمعرفة هما المظلة التى نحتمى بها ، وبقدر مانبذل من جهد• وننفق من مال ، من أجل تطوير العلم والتكنولوجيا ، ومن أجل ازدهار الثقافة وارتقاء المعرفة ، نتقدم نحو الأمام ، ونكسب رهان المستقبل •

ومستقبل العالم الإسلامى يصنع هنا فى الجامعة ، بتطوير البحث العلمى ، وتشجيعه ، وبالرفع من مستوى الأداء الجامعى مضموناً ، ومحتوى ، وإطاراً ، ومنهجاً ، وأسلوباً •

من هنا ، فإن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، تعمل بكل ما يتوافر لديها من إمكانيات ، من أجل التنفيذ المشترك للاستراتيجيات الثلاث ، للتربية ، وللعلوم ، وللثقافة ، والتى تتطلب تضافر الجهود كافة ، وتنسيقها ، وتكاملها •

* * *